

الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب



السنة 34 - العدد 942 الجمعة 6 ذو الحجة 1421هـ - الموافق 2 مارس 2001م

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة - الثمن : 3 دراهم



تهاني رابطة علماء المغرب بمناسبة عيد الأضحى المبارك

بمناسبة حلول طلعة عيد الأضحى المبارك التي تحتفل به كل الشعوب الإسلامية في المغرب والمشرق، يسعد ويشرف رابطة علماء المغرب وعلى رأسها أمينها العام بالنيابة أن تتقدم بأخلص التهاني إلى حضرة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله - داعية لجلالته بالنصر والتأييد حتى يحقق لشعبه كل ما يطمح إليه من تقدم وسعادة وازدهار تحت راية القرآن الكريم، وفي ظل العرش العلوي الشريف سائلة الله تعالى أن يكلمه بعنايته ويحفظ شقيقه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد والأميرات المصونات وسائر أفراد الأسرة الملكية الكريمة.

كما تتقدم بخالص التمنيات للشعب المغربي ولجميع الشعوب الإسلامية، ضارعة إلى الله أن يعم السلام والاطمئنان أمتنا الإسلامية، وأن يحقق النصر للمسلمين ويخلص أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين القدس الشريف من براثن الصهيونية ويعم الإنسانية الأمن والاطمئنان في ظل المشروع التي ينشد الكك تحقيقها لجميع أفراد البشرية بدون تمييز. ونغتنمها فرصة فنزف تهانينا إلى حجاجنا الميامين وهم يؤدون مناسك الحج، فحج مبرور وسعي مشكور وذنب مغفور.

كلمة

العدد

العيد الكبير

فضيلة الشيخ ماء العينين لأرباب
الأمين العام بالنيابة

سطم نور الإسلام بدعوة الرسول الكريم إلى المحجة البيضاء والعرب يحتفلون بأعياد كانت مقدسة عندهم في الجاهلية، فحرم منها من كان شديد الصلة بالوثنية، وشرع للمسلمين عيدين من أجمل الأعياد وأظهرها، حدد أحدهما بيوم الفطر، وسمي «العيد الصغير» وحدد ثانيهما بيوم الأضحى وسمي «العيد الكبير».

وهذا أنسب بن مالك - رضي الله عنه - يحدثنا، أن نبينا محمدا - عليه الصلاة والسلام - قدم المدينة فوجد للأنصار يومين يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر.

إننا عندما نتأمل حكمة تحديد موعد العيدين من كل سنة هجرية نجدهما يعقبان أشق فريضتين من فرائض الإسلام، وذلك لأن الإسلام كما نعرف جميعا، يقوم على خمسة أركان، ومشيد على خمسة أركان، كما بين ذلك سيدنا محمد - عليه صلاة الله وسلامه - في إجابته على سؤال أمين الوحي جبريل حين سأله: ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

فهاتان العبادتان - الصوم والحج - تحتاجان إلى جهد ومشقة وبذل مادي ولا يؤديهما عن إيمان ويقين إلا من رزقه الله عزيمة صادقة، وضميرا متيقظا، ولذلك ليس بعجيب ولا غريب أن يكون الانتهاء من هاتين العبادتين عيدين يحتفل المسلمون في مشارف الأرض ومغاربها، فهما عنون النصر ودليل الفوز.

ومحاربة الإنسان لنفسه، وتغلبه على هواه، وتحكمه في عواطفه، وكبح جماح شهواته، هو الجهاد الأكبر الذي أخبر عنه أشرف الخلق - صلى الله عليه وسلم - عندما قال لأصحابه بعد عودتهم من إحدى الغزوات:

«رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فقالوا: وما الجهاد الأكبر يارسول الله؟ قال: جهاد النفس والهوى». وما عيد الأضحى إلا رمز لمكافأة ربانية منحها الله سبحانه لك من لبي نداء خليله سيدنا إبراهيم - عليه السلام - واستجاب لدعوة العلي الكريم، وأدى فريضة الحج كما يجب، فغسلت ذنوبه، وكفرت سيئاته، وهذا العيد هدية سماوية يمنحها رب العالمين لزوار بيته الحرام الذين تحملوا مشقة السفر ووحشة الغربة، وتركوا ديارهم وأهلهم وأوطانهم في سبيل الله ففازوا بالبشرى، وما استحقوا هذه المنحة الربانية إلا لقيامهم بواجب عظيم.

مفهوم التقوى في الإسلام وأقسامها

إعداد الأستاذ : عمر الرماش

عدة من سورة 8. قال الإمام القرطبي : البر والتقوى لفظان بمعنى واحد وكرر باختلاف اللفظ وتأكيذا أو مبالغة . إذ كل بر تقوى وكل تقوى بر . قال ابن عطية : وفي هذا تسامح ما . والعرف في دلالة هذين اللفظين أن البر يتناول الواجب والمندوب إليه . والتقوى رعاية الواجب . قال الماوردي : تدب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى لأن في التقوى رضا الله وفي البر رضا الناس . 9. إن البر هو اسم جامع يدل على جميع معاني الخير والمعروف وقيم الإصلاح والصبر والتضامن والوفاء بالعهد ومكارم الأخلاق . وحقيقة التقوى تستوعب كل هذه المعاني وزيادة . يقول الدكتور عبد الحميد عشاق : إن التقوى بمقتضى الوجه السلوكي الاجتماعي لا تعني العزوف عن الناس وهمومهم وإيثار مسالك العزلة والانكماش على النفس والانقطاع لمحض العبادة وممارسة تهرب الأعجمي . كلا بل التقوى بالمقصود القرآني تيار اجتماعي جارف معانق لهموم الناس وحاجاتهم وملتصق بنتوات الواقع اليومي ومشكلاته . 10 .

الهوامش:

- 1 - معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني - ص: 568 - جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي - ص: 172 .
- 2 - مدارج السالكين - 1 / 462 ، د . محمد حامد الفقي وحيلة الأولياء 64/3 - ط : دار الكتب العلمية .
- 3 - مراتب التقوى الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - مجلة التقوى لبنان - العدد 98 - رمضان 1421 هـ ص: 6 .
- 4 - قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق - تحقيق عثمان الحويمدي - الوحدة - تونس 1987 . ص: 38 ، 39 .
- 5 - مراتب التقوى الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - مجلة التقوى - ص: 6 .
- 6 - جامع أحكام القرآن العظيم للإمام القرطبي 56/12 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية الأشبيلي طبع وزارة الأوقاف - الرباط المغرب 47/12 .
- 7 - القوانين الفقهية لابن جزي الأندلسي - ص: 371 .
- 8 - التقوى : قاعدة السلوك الإسلامي الحضاري - د عبد الحميد عشاق - جريدة المحجة المغربية العدد: 5 - 23 مارس 1994 - ص: 07 .
- 9 - جامع أحكام القرآن العظيم - القرطبي 57/12 .
- 10 - التقوى : قاعدة السلوك الإسلامي والحضاري - د. عبد الحميد عشاق - المحجة.

إلا أن يضطلع عليها لكي ياتمر بها وينتهي عنها وبالتالي ينال تقوى الله ورضاه .

التقوى هي استيفاء حق الديانة

والجد في العبادة

إن من معاني ودلالات التقوى توفية حق الديانة والجد في العبادة، مثل : الصلاة والزكاة والصيام والذكر والخشية والدعاء والاستغفار والورع والجد في التقرب إلى الله بالقول والعمل وبالظاهر والباطن... قال الله تعالى: - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون - وقال أيضا: الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون - ولذلك اردف ابن القيم الجوزية - رحمه الله - منزلة التقوى بمنزلة الإشفاق في المداير باعتبار تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه، والمقتضى بمقتضاه. وكذلك فعل ابن الجوزي المغربي الغرناطي في الجامع حيث قال: - باب في المأمورات المتعلقة بالقلوب: الأول الخوف من الله تعالى وهو اللجام القامع عن المعاصي وسببه معرفة شدة عذاب الله ويسمى خشية ورهبة وتقوى - 7 .

الجانب السلوكي والاجتماعي للتقوى

إن من معاني التقوى، كذلك ، هي كل ماله علاقة بالجانب السلوكي والاجتماعي للإنسان كالعدل والقوة والالتزام والأمانة - والنفع والبر والخير ... والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تؤكد هذه المعاني والدلالات . قال الله تعالى: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان - سورة المائدة / الآية: 3 . وقال أيضا : اعدلوا هو أقرب للتقوى - سورة المائدة/ الآية: 9. وقال كذلك : يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى . واتقوا الله الذي إليه تحشرون . سورة المجادلة/ الآية: 9 . إن التقوى في منطق هذه الآيات ومفهومها يراد منه إقامة العدل واستعمار الأرض بالخير والجهاد بالحق والسعي في إصلاح البلاد والعباد والتزام الاستقامة في الوظائف ونشدها النفع والبر في مانروم ونحاول وعلى هذا وازن القرآن الكريم بين البر والتقوى في مواضع

بواجبات الوقت والسعي في إصلاح الأمة ومنفعتاتها . وهذه الدلالات والمعاني جميعها تطرق إليها القرآن الكريم والسنة النبوية في العديد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة .

التقوى هي توحيد الله

وعدم الشرك به

إن حقيقة التقوى الأولى هي الإيمان بالله وبالغيب عموما . وهي توحيد الله وعدم الشرك به يقول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: وحقيقة التقوى أن تكون موحدا لله - جل وعلا - مبتعدا عن الشرك ووسائله لأن أولى درجات التقوى أن تتقي عذاب الله وأن تتقي سخطه وأن تتقي العقوبة في الدنيا والآخرة بأن تكون موحدا مخلصا لله . قالوا : وهذه لابد فيها من علم وتعلم لأن تحصيل التوحيد في القلب وتحصيل فروعه لابد فيه من علم... 5 . إن التقوى بمعيار القرآن الكريم هي الإيمان والتوحيد واليقين والصدق.. قال الله تعالى - والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون - سورة الزمر/ الآية: 39 .

قال مجاهد: كلمة التقوى هي كلمة الإخلاص : لإله إلا الله . قال الله تعالى : أولئك الذين استحسنت الله قلوبهم للتقوى - أي للإخلاص والإيمان . وقال أيضا: ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب - سورة الحج/ الآية: 22 . قال الإمام القرطبي أحد المفسرين القدامى في تفسير هذه الآية: في الآية إشارة لطيفة وذلك أن أصل البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه فلا يدل على الإخلاص . وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب - 6 .

التقوى هي امتثال أوامر الله

واجتناب نواهيه

يعني أن تأتي كل أمر أمر الله به وأن تنتهي عن كل نهى نهى الله عنه . قال طلق بن حبيب في تعريف التقوى: أن تطيع الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله . إن أوامر الله تعالى ونواهيه كثيرة ومتعددة واردة في القرآن الكريم والسنة النبوية ما على الإنسان المسلم

إن معنى التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور وبجعل الإنسان بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، وهو فعل طاعته وترك معاصيه - 1 . لقد وردت التقوى في استعمالات القرآن الكريم والسنة النبوية كلفظ جامع للدلالة على فعل الطاعات واجتناب المحظورات . قال طلق بن حبيب في تعريف التقوى: - هي العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله - 2 . يعني أن التقوى جمعت في الأمر والنهي بين أن تكون ممثلا للأمر على نور من الله وأن تكون مبتعدا عن المنهيات على نور من الله ترجو ثواب الله فيما تمتثل من الأوامر وتخشى عقاب الله فيما تنتهي عنه من النواهي . إذا تبين هذا، فإن النبي ، صلى الله عليه وسلم، أمر المؤمنين بتقوى الله تعالى فقال للذي استوصاه : - اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها - 3 . إن تقوى الله هي من أعظم الوصايا التي وصى الله بها الأنبياء والمرسلين . قال الله تعالى : - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - كما أن جميع الرسل أمروا أقوامهم بتقوى الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه، مثل، نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم ومحمد عليهم، جميعا، أفضل الصلاة والسلام . إن غاية التقوى وثمرتها هي التحلي بالورع كما قال محتسب العلماء والأولياء الشيخ أحمد زروق - ت - 899 هـ - غاية اتباع التقوى التمسك بالورع وهو ترك ما لا بأس به مما يحسب في الصدر حذرا مما به بأس كما لا يبلغ الرجل درجة المتقين حتى يترك ما حاك في الصدر . ومن كمال التقوى وجود الاستقامة وهي حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة لقوله تعالى : - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - 4 . إن مفهوم أو حقيقة التقوى في القرآن الكريم لها دلالات ومعاني كثيرة وعظيمة ومن أهمها : توحيد الله وعدم الشرك به - صحة الاعتقاد وتمحيص الإخلاص لله تعالى، امتثال الأوامر واجتناب النواهي - استيفاء حق الديانة والمواظبة والجد في العبادة - التكفل بتكاليف الاستخلاف والنهوض

علماء مسلمون

جابر ابن حيان

إعداد الأستاذ : الطاهر العروسي

العلماء المسلمون هم الذين وضعوا أسس علم الكيمياء، ففي مكتبات فرنسا وألمانيا وإيطاليا أكثر من ثلاثمائة كتاب في مختلف فروع هذا العلم، وفي المتحف البريطاني ما يزيد على ثمانين كتابا اتخذها علماء الكيمياء بإنجلترا مرجعا لدراساتهم، بل إن العلامة البريطاني "هوليارد" أستاذ بكلية - إيتون - بإنجلترا والذي اعتبر من أكبر أساتذة الكيمياء في أوائل القرن التاسع عشر، يعترف بأن سبب نبوغه في الكيمياء يرجع الفضل فيه إلى تعلمه اللغة العربية وإلى دراسته للكيمياء من أصلها العربي.

ومن هؤلاء العلماء العظام جابر ابن حيان الذي أطلق عليه : "الأستاذ الكبير وشيخ الكيميائيين في الإسلام" وقد نبغ في علوم أخرى كالطب والفلسفة والطبيعة، إلا أنه يعتبر حجة في علم الكيمياء في العالم بلا منازع، وفي المتحف البريطاني توجد نسخة خطية لكتابه "الخواص الكبير" وفي المكتبة الأهلية ببغداد نسخة خطية من كتابه "الأحجار" ويبلغ عدد مؤلفاته مائتا كتاب، منها ثمانون في الكيمياء، وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغات العالم. والعالم جابر ابن حيان هو أول عالم في العالم - على وجه الإطلاق - استعمل الميزان في تجاربه العلمية، إذ اهتم بوزن المقادير التي يستخدمها.

وقرر العالم جابر حقيقة علمية قال عنها: إن الأجسام القابلة للاحتراق عندما تحترق يتطاير منها كبريت، وجاء بعده بحوالي عشرة قرون العالم الألماني "ستاهل" وقرر هذه الحقيقة ووضعها تحت نظرية السعير، وهي نظرية واحدة، فبينما سمي جابر المواد المتطايرة كبريتا، سماها "ستاهل" الألماني سعيرا.

ومن أدلة نبوغ جابر في الكيمياء أنه توصل إلى تحضير مداد مضيء، استخدم في كتابة المخطوطات الثمينة لإمكان قراءتها في الظلام، كما اخترع صنفا من الورق غير قابل للاحتراق وذلك تنفيذاً لرغبة الإمام جعفر الصادق الذي كتب على هذا الورق كتابه المعروف الذي وضعه في الحكمة.

لقد ولد "أبو موسى جابر بن حيان" سنة 100هـ أي سنة 720 ميلادية، وتوفي وعمره ثلاثة وتسعون عاماً. وقد أوفاه حقه العالم البريطاني "هوليارد" عندما وضع رسمه في مقدمة كتابه "مشاهير الكيميائيين".

الشباب والسلوك السيكولوجي

إعداد الأستاذ : ميلود مشرفي

هناك ثلاثة أنواع من سلوك الشباب السيكولوجي:

الشباب النيروزي. وقبل أن أتطرق إلى تحليل هذا النوع من سلوك الشباب لابد أن تتمعن، معي، أخي الشاب هذه الكلمة وتعرفها ثم ننتقل إلى غيرها. حتى تكون على بصيرة من شرح بعض المصطلحات العلمية. فما هي كلمة النيروز؟ "جنون العواطف، هذا النوع من الشباب يتعقل الأشياء، ولكنه يشعر بضغط العواطف بحيث - أحيانا - لا يستطيع مقاومتها، فيخاف كثيرا، أو يجد رغبة جنسية شاذة لا يستطيع حبسها، وهو حين يرجع إلى عقله يجد كل هذه المخاوف والشكوك عبارة عن أوهام.

والسؤال هو : كيف يستطيع الإنسان أن ينفذ هذا السلوك عن نفسه؟

والنوع الثاني هو الشباب السيكوباتي، فما هي السيكوباتية؟ هي مرض الإجرام، فالسيكوباتي يرتكب الجريمة، ويبدو أمام الناس كأنه رجل عادي وسوي، فهذا النوع هو عدو المجتمع من حيث لا يهتدي إليه المجتمع، وهو، أحيانا، يقتل في الخفاء أو يسرق أوزير.

والنوع الثالث هو الشباب السيكوزي، فما هي كلمة السيكوز؟ السيكوز هي جنون العقل، حين يخترع المجنون لنفسه عالما آخر غير العالم الواقعي، ويسير في خيالاته، يستانس بها، ويعيش عليها، بعد أن يكون قد انقطع عن الواقع. ومعالجته شاقة جدا تقارب المستحيل. إلا إذا كان مبتدئا في مرضه.

أما النيروزي والسيكوباتي فيمكن معالجتهما، وغير هذه الأنواع ليس بهم مرض نفسي. ولكي لا ننسى أن جميع الأمراض النفسية أو العقلية نجد بذرتها في الشخص السوي، ولكنها بذرة ضعيفة، تبقى خامدة فينا إلا في فترات، وسرعان ما يرازمها، ولكن الأخلاق المستقيمة البعيدة عن هذه الأمراض تدرج في نوعين:

1 - نوع الشخصية التي تعتمد على العادات والتقاليد والعقائد.

2 - والشخصية التي تعتمد على العقل والابتكار والمنطق.

وهذان النوعان يتداخلان، إذ ليس هناك من لا يستسلم لكثير من العقائد والعادات والتقاليد، فالعيش في كنفها سهل لا يحتاج إلى بذل مجهود من التفكير.

وكذلك لا يمكن لأحد أن يطرد عقله في جميع الحالات ويعيش بعقيدته دون استعمال العقل. إلا أن هناك من يغلب عليه العقل، وهناك من تغلب عليه العقيدة. وعندما تغلب العقيدة فيهدأ الشخص، ويهدأ بسلوكه الهادئ في المجتمع. وهذا الطراز غالبا ما يكون بالبوادي، ولكل قاعدة استثناء.

أما الطراز الآخر الذي يعتمد على العقل والمنطق والابتكار هو طراز القلة التي تتسم بالنضج السيكولوجي الخصب.

وهذا النوع من الشباب يبحث ويستطلع ويسأل، ويفتش الكتب ويزيد معارفه وإن تكن خطيرة، لأنه يعتمد على عقله، ولذلك يدرس كثيرا كي يقارن ويستنتج، وهو في نظر الناس غير سعيد، ولكنه في قرارة نفسه ونظرة سعيد، وهو كثيرا ما يخالف العرف العام. مثل ما فعل قاسم أمين الذي رفس بقدميه تقاليد بلاده، وابتكر فكرة السفور، ولكن في ظل الاحترام والوقار والحشمة بدلا من الحجاب، ولقي البغض والاحتقار، وبعد موته لقي الاحترام والحب، والشعوب ترقى بالمبتكرين الذين يبتكرون في الأدب والعلم والصناعة، ووسائل العيش، وأنت - أخي الشاب - ما هو طرازك؟

أقوال ففي سر الإعجاز

إعداد الأستاذ : مبارك العلمي

وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها فكثير المصدق المؤمن ، وهو التابع والأمة - 12 -

وبذلك يفضي بنا البحث والنظر إلى أن سر إعجاز القرآن دان على علوه ، قريب على بعده ، ظاهر على خفائه ، إنه كلام الله ، يتمثل فيه جلاله وكماله وصمديته تستوي في النطق به والدلالة عليه كل السور ، الطول منها والقصار تدركه النفوس . بمحض الفطرة التي فطرها الله عليها ، إياه تحمد على نعمه ما تحصي منها وما لا تحصي ، وإليه تجار إذا مسها الضر ، ورحمته ترجو إن نزل بها البلاء ، بوجودها عرفت قدرته ، وبموتها علمت بقاءه ، وبفقرها إلى فضله وكرمه أدركت غناه ، وهو الغني الحميد . «يسئله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن * فبأي آلاء ربكما تكذبان» 13 -

سؤال الحاجة والعوز ، تردده الأكوان بلسان الحال ولسان المقال ، وإذا كان الإعجاز والتحدي موجه لاهل الكبر ممن ركبهم الغرور رتصيدهم شيطانهم ، فإن سر الإعجاز مائل أمام كل نفس عربية أو عجمية متقدمة أو متاخرة .

هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم - 14 -

الهوامش:

- 1 - بيان إعجاز القرآن : 21 .
- 2 - المصدر نفسه : 25:24 .
- 3 - منهم عبد القادر ، الدلائل : 277 .
- والرازي ، نهاية الإيجاز : 54 . والزركشي ، البرهان / 1: 100 . والسكاكي ، مفتاح العلوم : 243 . والرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : 21 . وأحمد حسن الباقوري ، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : 126 . ومحمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم : 101 .
- 4 - سورة التوبة / الآية : 6 .
- 5 - سورة الأنعام / الآية : 19 .
- 6 - بصائر ذوي التمييز : 1: 75 - 76 .
- ومعجم مقاييس اللغة - مادة : آل - ولسان العرب - ومعاني 1 : آل : الله - الأصل الجيد - النسب والقرابة إلى الحق .
- 7 - أحد أعلام القرن الرابع الهجري ، فيلسوف يقرن بالكندي والفارابي وابن سينا . توفي سنة 381 . الإعلام بمناقب الإسلام . مقدمة المحقق : 5 - 19 .
- 8 - الإعلام بمناقب الاسلام : 41 .
- 9 - الصحابي : 41 .
- 10 - الموافقات / 3: 376 .
- 11 - البخاري / كتاب التفسير ، باب فضائل القرآن .
- 12 - المقدمة : 165 .
- 13 - سورة الرحمن / الآية : 29 - 30 .
- 14 - سورة الجاثية / الآية : 11 .

وعبر الإمام الشاطبي عن سر إعجاز القرآن ، ودل على نسبته إلى رب العالمين فقال بالماهية : «وجه كونه معجزاً لا يحتاج إلى تقرير في هذا الموضوع ، لأنه كيفما تصور الإعجاز به فماهيته هي الدالة على ذلك ، فإلى أي نحو منه ملت ذلك على صدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » 10 -

وعبر ابن خلدون عن سر إعجاز القرآن بطريقة استدلالية رائعة استملاها من آيات القرآن الكريم ، الذي هو كلام الله ، ومن الحديث النبوي الشريف ، يقول ابن خلدون - رحمه الله - : «وإذا تقرر ذلك ، فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ، والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي ، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه .

وهذا معنى قوله ، صلى الله عليه وسلم :

«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً ، أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » 11 -

يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة

عليه وسلم ، إلى الروح ، ولم يعرج على شيء سواه مما شغل كثيراً من أهل النظر ، وعتم على نور الحق وقاس الجواهر قياس العرض ، إن كلام الله تعالى تدركه الفطرة ، لا يخفى ولا يشته به أي كلام ، وهو ما أقسم عليه أبو بكر - رضي الله عنه - فأنى للكذاب ولا لغيره أن يلبس أو يشبه .

ولأبي الحسن محمد بن يوسف العامري 7 - . كلام بسط فيه سر الإعجاز الذي أجمله أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بقول العامري - رحمه الله - :

«فالذي استجمعه القرآن من الفضيلة في صورة الخطاب ومن الفضيلة في نظم الألفاظ ، ومن الفضيلة في تأليف المعاني هو شيء باين به الكتب ، فأما صورة الخطاب فلأنه على هيئة تدل على أنه خطاب خارج عن ملك مقتدر لخلوه وعبيده ، فيما يجب أن يلقيه إليهم من عزائم أمره ونهيه ووعظه وزجره ووعده ووعيده » 8 -

القرآن الكريم خطاب الملك المقتدر لخلوه وعبيده ، عبارة جمعت فاوتت ، كلام الله دال على مقتضى الألوهية : الأمر والنهي ، والتكاليف ناطق بمقتضى العبودية : الاستجابة والطاعة أو الإعراض والمعصية وعلى المنوال نفسه نسج ابن فارس إذ يقول :

«إن كلام الله - جل ثناؤه - أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام ، وكيف لا يكون ، كذلك ، وهو كلام العلي الأعلى » 9 -

استسلم كثير من أهل النظر إلى اليأس من إدراك سر الإعجاز في القرآن الكريم ، يقول أبو سليمان الخطابي : «قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب ، قديماً وحديثاً ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ، وما وجدناهم بعد صدورنا عن رأي ، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ، ومعرفة الأمر في الوقوف على كلفيته » 1 - . ويقول مؤكداً على حيرة الباحثين عن سر الإعجاز :

«ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن ، الفائقة في وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة ، قالوا : إنه لا يمكننا تصويره ، ولا تحديده بأمر ظاهر ، نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام ، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده... قالوا : وقد يخفى سببه عن البحث ويظهر أثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به .

قلت : وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم ولا يشفي من داء الجهل به وإنما هو إشكال أحيل على إبهام » 2 - . وقد ترددت حيرة الخطابي في كثير من الصدور وخطتها أقلام الدهشة تمسكها أصابع مرتعشة ، استشعرت عظم كلام الجليل وتعالیه عن أن يحيط بسر علم ، وهذه الحال التي عانى منها كثيرون 3 - هي في حقيقتها إدراك وحقيقة أمسك أصحابها عن التصريح ، أو قل أصيبوا بحبسة الدهشة وبهرهم النور الساطع فهابتهم البصائر وغشيت له الأبصار ، لكن فئة أخرى تمهلوا فادركوا ، وتريثوا فتبينوا ، وحققوا معنى مقتضى الآيات البينات التي نطقت بأجل بيان وأسطع حجة وبرهان : القرآن كلام الله إلى الناس أجمعين .

«وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » 4 - فالآية الكريمة نص في أن سماع القرآن حجة على من سمع ، ولو لم يكن من ذوي العلم والملاكات ، بل إن الاستعداد لتقبل أمره ونهيه ومعرفة أصله ومصدره ، أمر فطري مركز في الجبلة ، قال الله تعالى : وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » 5 - .

وأول ما وقع عليه النظر من أقوال السلف الصالح ، ونطق بحقيقة الإعجاز ، ودل على سره ، وأزاح الحجب ورفع الستار دونه ما ينسب إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حين قدم عليه جماعة من أهل اليمامة فسألهم عن مسيلمة وعماد يدعيه أنه من الوحي النازل عليه ، فقرأوا عليه منه هذه السورة : «ياضفدع نقي نقي ، إلى كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الطين تفارقين ، ولا العذوبة تمنعين فقل الصديق - رضي الله عنه : والله إن هذا الكلام لم يخرج من آل » 6 -

فذهب خليفة رسول الله ، صلى الله

في رحاب القرآن

الوحي: حقيقته، أنواعه وكيفية

■ الأستاذة: خديجة الراشدي

الوقف والابتداء

إعداد الأستاذ: مصطفى الموهري

تعريف الوقف

الوقف هو قطع الصوت بعد الحرف الأخير من الكلمة للوقوف عليها بنية استئناف القراءة، وأن تكون مدة قطع الصوت بمقدار ما يتنفس فيه كل قارئ. والوقف عند القراءة أقسام أهمها:

• **الوقف التام:** أن يكون على ما ليس له بما بعده علاقة من جهة الإعراب والمعنى. وهذا النوع يتأكد الوقف عليه والابتداء بما بعده، مثال: "ملك يوم الدين" إياك نعبد..

• **الوقف الكافي:** ويكون على ما ليس له علاقة بما بعده من جهة الإعراب وأفاد معنى صحيحا. ولا يخل بالمعنى المراد وإن تعلق ما قبله بما بعده من جهة المعنى. مثال: "وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم"

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا...

• **الوقف الحسن:** يكون فيما يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده والمانع من الابتداء بما بعده كون العلاقة بين ما يوقف عليه أو بما قبله وثيقة به إعرابا ومعنى.

وسمي وقفا حسنا لأنه يفهم معنى حسنا. مثال الوقف على (الريح) من قوله تعالى:

(فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشیاطین کل بناء وغواص وآخرین مقرنین فی الاصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وكذا الوقف على: "بأمره"، أو على "رخاء"، أو على "الشیاطین"، أو على "غواص"، أو على "مقرنین"، أو على "عطاؤنا".

ويستحب لمن وقف وقفا حسنا أن يبتدئ من حيث يحسن الابتداء من الكلمة التي وقف عليها أو مما قبلها حسب ما يتطلبه المعنى.

• **الوقف الاضطراري:** يكون بسبب انقطاع النفس أو العطاس أو لعذر طارئ أو لامتحان أو لتعليم متعلم كيفية الوقف كالوقوف على: "إن، لم، لن، كل، والذين..." إلا كلمة. أي: من قوله تعالى: "أيأ ما تدعوا فله الاسماء الحسنی".

فالوقف الاضطراري يكون على ما ويستحب لمن وقف وقفا اضطراريا أن يبتدئ من الكلمة التي وقف عليها أو التي قبلها حسب ما يقتضيه المعنى من الحسن.

• **الوقف القبيح:** يستقبح الوقف على كل كلمة لا يتم معناها إلا بما بعدها لعلاقتها به إعرابا ومعنى، وكذا الوقف على ما يوهم معنى لا يليق بالله - سبحانه وتعالى - أو ما يفهم معنى يخالف المعنى المراد من كلام الله تعالى مثلا: الوقف على ما قبل هذه العلامات (1).

• الحمد (1) لله رب العالمين.

• إنما الصدقات (1) للفقراء.

• وقالوا (1) اتخذ الله ولدا.

• لقد كفر الذين قالوا (1) إن الله هو المسيح بن مريم.

• يخرجون الرسول (1) وإياكم أن تؤمنوا بالله.

• الوقف الحرام: هو قطع الصوت بين المد وسببه، سواء كان، المد متصلا أو منفصلا فهو حرام شرعا، كالتنفس على الساكن نحو الأرض، الآخرة، قرءانا، مسحورا، أولئك هم، ويستثنونك أحق هو، قل أوحى إلي،...

كما لا يجوز في الوقف أن يقف القارئ على متحرك أو تنوين أو الوقف على المدود بلا مد، أو مد ما لا مد فيه.

ياموسى-إني أنا الله رب العالمين. وكن قوله في سورة النساء/الآية 164. وكلم الله موسى تكليما.

فالهما: أن يرسل الله تعالى إلى رسوله أو نبيه ملكا هو أمين الوحي جبريل - عليه السلام - وهو ملك كريم، ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وهذا هو أشهر أنواع الوحي وأكثرها، ووحى القرآن كله من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي.

وهذه الكيفيات الثلاث تشملها الآية الكريمة من سورة الشورى: وما كان ليشتر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء.

ثم إن ملك الوحي يهبط هو الآخر بإساليب شتى: فتارة في صورته الحقيقية الملكية والدليل قوله سبحانه في سورة النجم/الآية: 3 و 14. ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، وتارة يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه، فقد كان - يتمثل في بعض الأحيان - بصورة الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي وكان جميل الخلقة، وسيم المحيا، يستأنس به الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما كان يتمثل في صورة رجال آخرين لا يعلمهم الصحابة، وما حديث جبريل الذي سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة منا ببعيد. وتارة يهبط على الرسول خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر التغيير والانفعال على صاحب الرسالة فيغط غطيط النائم، ويغيب غيبة كأنها غشية أو إغماء وما هي في شيء من ذلك، إن هي إلا استغراق في لقاء الملك، فيؤثر ذلك على الجسم، فيغط ويثقل ثقلًا شديداً، قد يتصيب منه الجبين عرقا في اليوم الشديد البرد، وقد يكون وقع الوحي على الرسول كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وذلك أشد أنواعه، وربما سمع الحاضرون صوتا عند وجهه الرسول كأنه ذوي النحل، لا يفهمون كلاما ولا يفقهون حديثا، أما هو - صلوات الله وسلامه عليه - فإنه يسمع ويعي ما يوحى إليه، ويعلم علما ضروريا أن هذا هو وحي الله دون لبس ولا خفاء، ومن غير شك ولا ارتياب، فإذا انجلى عنه الوحي وجد ما أوحى إليه حاضرا في ذاكرته منتقشا في حافظته.

والأدلة الشرعية على ما ذكرنا كثيرة في الكتاب والسنة ويبقى أن نشير إلى بعضها كقوله تعالى في سورة النجم/الآية: 3 و 4، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ومنها الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يارسول الله كيف ياتيك الوحي؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشد علي - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا.

وفي هذا السياق يقول سبحانه في سورة الشعراء: نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين.

من نافلة القول أننا من هذه النافذة نتجول في رياض القرآن روضة روضة، لكي لا يبقى للشك ظل أنه لما كان كلام الله تعالى أفضل من كل كلام سواه، كانت علومه أفضل من كل علم غيره، وكل ما قدمناه في نزول القرآن لا يسلم به ولا يقبله إلا من آمن بالوحي وإساليبيه، واتصالات الرسل بالملأ الأعلى، واستعداد الإنسان لمعارفه عن الله تعالى بوساطة الملك، على غير الطريقة المعتادة بين البشر، ولكن العقلية العصرية، اليوم، أصابها مس من المادية والإباحية والإلحاد، فأصبح كثير من المتعلمين تعليما مدرسيا ناقصا، لا يهضمون هذه الحقائق العليا كما لا يستسيغون فهمها، بل ويفندونها ابتغاء الفتنة وابتغاء الشهرة، ولا شبهة لهم فيما ذهبوا إليه إلا شكوك تلقفوها من هنا وهناك، يروجونها باسم العقل مرة، وباسم العلم مرة أخرى، كمثله الذي ينفع بما لا يسمع إلا دعاء ونداء.

ولعله من تمام الفائدة أن نقف هنا بجانب الوحي وقفة نرفع فيها النقاب عن حقيقته وأنواعه وكيفياته، ثم نتبع ذلك بالأدلة العلمية على الوحي وإمكانه، ثم نردفها بالأدلة العقلية على تحققه ووقوعه، ثم نختم بعلاج بعض الشبه في هذا الموضوع الخطير والوقف الجلل. أما الوحي لغة فهو من أوحى يوحى وحيا، وهو الإشارة السريعة في الخفاء، أو بعبارة أوضح: هو اتصال بين شخصين يتفاهمان المراد ويخفي ذلك على من حولهما، وهذا التعريف شامل للعديد من الإطلاقات إذ يدخل فيه:

• الإلهام الغريزي للحيوان، كما جاء في قوله تعالى في سورة النحل/الآية: 68.

• وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون.

• الإلهام القطري للإنسان كما قال الله تعالى في سورة المائدة/الآية: 111.

• و إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي.

• وأمر الله - عز وجل - للملائكة

1 - كقوله في سورة الانفال/الآية: 12: "إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فقاتلوا الذين آمنوا".

• خطاب الشياطين لبني جنسها، مثل قوله في سورة الأنعام/الآية: 121: "وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم".

أما الوحي في لسان الشرع فهو أن يعلم الله تعالى من اصطفاة من عباده بكل ما أراد إعلامه به من أصناف الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.

ثم إن كيفية وحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله قد فصلها القرآن الكريم وقسمها إلى ثلاث:

• أولهما: أن يكلم الله تعالى رسوله أو نبيه وحيا أي إلهاما أو قذفا في القلب أو يري له شيئا في المنام.

• ثانيهما: أن يكلم الله نبيه أو رسوله تكليما بأن يسمعه كلامه دون أن يراه ويكون بغير واسطة كما جرى مع كليم الله موسى إذ قال جل من قائل سبحانه في سورة القصص/الآية: 30. فلما أتاه نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن

علماء المغرب ومساهماتهم المعرفية والثقافية

نموذج : أبو الحسن الشاذلي -3-

في إطار الأنشطة الثقافية التي تقوم بها جمعية - الثقافة والترات - خلال موسمها السنوي ، يسر جريدة - ميثاق الرابطة أن تقدم إلى القراء عرضاً قيماً ساهم به الأستاذ محمد الخضر الريسوني وقد تطرق بالدراسة والتحليل لجملة من المحاور الآتية :

- 1- من هو أبو الحسن الشاذلي ؟
- 2- ظروف تزامنت مع ولادته .
- 3- انتقاله من تونس إلى مصر ، ثم عودته إلى المغرب للالتقاء بالشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش .
- 4- شيخه في علم التصوف . . .
- 5- لقاءه بسلطان العلماء العز بن عبد السلام وأبي العباس المرسي .
- 6- أحزابه وأوراده .
- 7- صفات الشاذلي كما يصفها أحد مريديه .
- 8- الإقبال على أبي الحسن الشاذلي ، ماهي الأسباب ؟
- 9- شعبية الشاذلي وشهرته في الشرق .
- 10- وفاة الشيخ الشاذلي .
- 11- أفكاره .
- 12- المقامات والأحوال .
- 13- تفسيره للقرآن الكريم .
- 14- تعامله مع الدنيا . . ومع الناس .
- 15- دعوات الشاذلي في حزب البحر .
- 16- الأخذون بالطريقة الشاذلية .

الطريقة الشاذلية ، ما هي أسسها الفكرية وتوجهاتها الصوفية ؟

للشاذلي طريقتان ، طريقة تبرك أخذها عن الشيخ محمد بن حرازم ، وطريقة إرادة وهي التي أخذها عن سيدي عبد السلام بن مشيش الذي تشتمل طريقتيه على السلوك والجذب أو المجاهدة والعناية والأدب والقرب والرعاية أي رعاية حقوق الله، وتنبنى على علمي الظاهر والباطن مع اكتمالها شريعة وحقيقة.

الطريقة الشاذلية مبنية على:

- 1- الذكر مع الافتكار.
 - 2- البيضة مع الاصطبار.
 - 3- ترك التدبير والاختيار .
 - 4- الجمع على الله : أي حضور القلب مع الله وحده بلا صور كونية .
- والحقيقة أن الشيخ الشاذلي صب الكثير من اهتمامه على:
- 1- الالتزام بالكتاب والسنة.
 - 2- ضرورة اكتساب المعرفة الظاهرة والباطنة لمن قدر عليهما.
 - 3- بدل المال عند الوجد.
 - 4- تحقير الماديات حتى مع إمكان الأخذ بما هو ضروري منها ودون إسراف.

زواياه وأحزابه وأذكاره

في تونس كانت بها زاوية للشاذلي أما في مصر فإن البناية التي وهبتها له السلطة المصرية كانت تضم عدة مرافق بما فيها جامع وبيوت للفقراء ، وبالتالي كانت

له زاوية بالاسكندرية يجتمع بها الفقراء ويقيم بعضهم بها.

أما بالنسبة للأحزاب والأذكار فقد استعملها الشاذلي أحزاباً وأوراداً ردها اتباعه في حياته وبعده.

وأهم هذه الأحزاب:

- 1- حزب الفتح أو حزب الأنوار وحزب النور.
- 2- حزب البر أو الحزب الكبير.
- 3- حزب البحر.
- 4- حزب الحمد.

وبخصوص - حزب - البحر فقد وضعه الشاذلي في بضع فقرات مضمونها التضرع إلى الله حتى يسخر البحر لركابه من المؤمنين، وينعم عليهم بالعلامة والعافية ويصد عنهم خطر كل عدو، ويختتم بالآيات الأولى من سورة يس في أول السورة بعبارة: شأهت الوجوه - ثلاث مرات - إلى قوله - فهم لا يبصرون -

وكان المسافر بحراً في عهد الشاذلي يتعرض لخطرین : أهوال العواصف، وهجوم القراصنة والصليبيين ، ويعني هذا أن حزب البحر، كان له إطار زمني ومكاني من حيث دوافع وضعه وتعميمه، كما أن حزب البحر يعكس شيئاً من الانحدار الاجتماعي الذي عرفه المجتمع الإسلامي آنذاك.

أما حزب الحمد ، فقد خصص الشاذلي ثلثه الأول لمجموعة من آيات القرآن وسوره الصغيرة، ثم اتبعها بدعوات تتضمن بعض الحروف وأسماء بعض السور التي ترمز إلى معان لم تعرف أسرارها عند السنيين،

مثل : يس - ق - كهيعص - ثم تتوالى الدعوات مرددة صفات الله والتضرع إليه من أجل رفع الشر والردائل وهداية الخلق مع الاعتراف بالذنب ، وطلب المغفرة تتخلل ذلك نداءات تارة بالهم وتارة بحرف النداء .. يا عالم السر، يا قريب ، يا الله وكل نداء يتلوّه تضرع على أن أهم شيء يخص أحزاب أبي الحسن الشاذلي أن الصلاة على الرسول ، صلى الله عليه وسلم، فيها محدودة حتى وإن ذكر الرسول وسائر الأنبياء بالتقديس والتبجيل .

لكن هناك أدعية خصصت للصلاة على الرسول وبعضها لطلب الفرج من غم أو شدة..

دعوات الشاذلي في حزب البحر

من دعوات الشاذلي في حزب البحر:

يا رب انصرنا فإنك خير الناصرين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، وارحمنا فإنك خير الراحمين. وهب لنا ريحاً طيبة كما هي في علمك، وانشرنا في خزائن رحمتك، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير.

من هم الأخذون بالطريقة الشاذلية

والمناشرون بها ؟

من الذين أخذوا بالطريقة الشاذلية: ابن عطاء الله الإسكندري تاج الدين أحمد بن محمد المتوفى في القاهرة سنة 709 هـ . صاحب مؤلفات عديدة أهمها كتاب - الحكم - الذي نال شهرة واسعة وشروحه كثيرة ، وكان ابن عطاء الله مالكيًا مشاركاً في الشرعيات متمكناً من علم التصوف، وهو تلميذ الشيخ عباس أحمد المرسي الذي تتلمذ على أبي الحسن الشاذلي ، وقد لازمه سنين عديدة وساهم ابن عطاء الله في تعزيز طريقة الشاذلي بإشعاعه في مجالسه وكتبه والدعوة لطريقته ، وهو صاحب كتاب - لطائف المنن - الذي يعد من المصادر الأساسية عن الشاذلي والمرسي.

ومن الأخذين، أيضاً، بالطريقة الشاذلية محمد بن أحمد ابن جعفر السلمي المعروف بالقونجي، نسبة إلى قونجة من إقليم غرناطة المتوفى عام 750 هـ . درس بالاندلس، ومنهم ابن عباد النقري الرندي محمد بن يحيى بن إبراهيم المتوفى عام 792 هـ . وكنماذج لحكم ابن عطاء الله قوله في الباب الثاني - آداب السالكين - من كتابه : الحكم العطائية، قوله:

- من علامات النجاح في النهايات، الرجوع إلى الله في البدايات.

- ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر.

وفي الباب الحادي والعشرين وعنوانه - المرء بين هواه وطاعة ربه - يقول :

- من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات ، والتكاسل عن القيام بالواجبات .

- لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق. وعن صفة الأولياء الصالحين يصفهم أبو الحسن الشاذلي بأنهم صفوة المؤمنين، والله يجمعهم على

محبتة ، ويجمع بهم أهل مودته على طاعته وهم يتعاونون في الدرجات ، فمنهم الأولياء ومنهم الصديقون. وغايات الأولياء بداية الصديقين ويورد شيخ الأزهر السابق الدكتور عبد الحليم محمود وصفاً لأبي الحسن الشاذلي عن المخلصين من المؤمنين بقوله: رجال جبلهم الله على حسن عبوديته، وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته، واتباع شريعته ، فيما متع أسرارهم بأنوار حضرته وأمد أرواحهم بمعاني المعارف وخصائص عنايته، وأجال عقولهم في عظمتهم ، وزكى نفوسهم فأحرزها وأخرجها من ظلمة الجهل، وهداهم بنجوم العلم وشمس معرفته وأبطل عقائدهم ببرهان كتابه وسننه، ومحا عزائمهم بتحقيق غلبة مشيئته ، وطوى إرادتهم بتيقن وقفها على إرادته، وزينهم بزينة الزهد ، وحيلة التوكل، وشرف الورع ونور العلم وضياء المعرفة، والهمهم لفضله وطوله وتولاهم فأغناهم به عن غيره.

وعن جهاده ومواقفه للدفاع عن حوزة الإسلام ما تنقله مصادر التاريخ عن مواقف جهاد ابن الحسن الشاذلي أن شيخ الإسلام سلطان العلماء العز بن عبد السلام استمع إلى الإمام الشاذلي وهو يدرس لاتباعه في ساحة الحروب الصليبية فخرج صائحاً في الناس يقول : هذا قريب العهد في الله .. هذا من إلهام الله وهده.

إخواني :

وأحسن ما اختتم به هذا العرض المتواضع عن الشيخ الإمام أبي الحسن الشاذلي دعوات نطق بها مريده ابن عطاء الله الإسكندري وهو متوجه إلى الله بقلب خاشع:

إلهي ، هذا ذلي ظاهر بين يديك. وهذا حالي لا يخفى عليك ، منك أطلب الوصول إليك، ولك استدلل عليك فاهدني بتورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك.

إلهي ، أغني بتدبيرك عن تدبيري ، وباختيارك عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري.

إلهي، بك استنصر فانصرني ، وعليك أتوكل فلا تكلني وإياك أسأل ولا تخيبني، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ولجنايك أنتسب فلا تبعني، وببابك أقف فلا تطردني.

أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب

أوليائك حتى عرفوك ووجدوك ، وأنت الذي

أزلت الأغيار في قلوب أحبابك حتى لم يحبوا

سواك، ولم يلجأوا إلى غيرك، أنت المؤنس

لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي

هديتهم حتى استبانتم لهم المعالم، كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان أم كيف يطلب غيرك وأنت ما بدلت عادة

الامتنان.

الشراب المسكر

إعداد الدكتور : محمد الفايذ

الذين يتناولون الكحول بعد عشاء أو تركيز وهو أمر شائع في العالم الغربي حيث يتناول الناس كاسا من الخمر بعد الدخول إلى المنزل عند الرجوع من العمل. وقد لآتري الأعراض المتعلقة بالقدرة العقلية إلا بعد تقدم السن حيث يلاحظ أن الأشخاص الذين يتناولون الخمر يصبحوا مشلولين فكريا لما يتقدم سنهم. وأثبتت الدراسات العلمية أن تناول الخمر يساعد على ظهور الكثير من الأعراض الخطيرة، خصوصا، السرطان. وليست الأعراض العضوية هي الخطيرة، بل هناك ما هو أخطر بكثير لما نتطرق إلى الإدمان على الخمر حيث يصبح الشخص خطرا على المجتمع لأنه من شأنه أن يسرق أو يقتل أو يخون وطنه أو يفعل أي شيء. وهذا المرض لا تقدر خسارته لأنه يتعلق بالمجتمع ولا علاج له، وهنا لا مجال للحساب الرياضي لأن التقدير غير ممكن والخسارة معنوية ومادية. أما ما يتطلبه علاج السرطان فلا حرج إن حدثنا عن الأموال الطائلة التي تصرف على المصابين بدون جدوى ونعلم أن الأدوية باهضة الثمن وتستورد، وفي هذه الحالة، يمكن للعمليات الرياضية أن تبين، هل الخمر تدعم الاقتصاد الوطني أم تحطمه؟

ولنعطي فكرة واضحة عن الدمار الذي تسبب فيه الخمر وبعيدا عن مصاريف الأدوية وضياع الأخلاق وضعف الأمة وذهاب قوتها لأن القوة في العقل، فإذا ذهب العقل ذهبت قوة الأمة. فهناك بعض الحالات، والتي كثيرا ما تقع وتقارير شرطة السير تبين ذلك، إذ نجد أن الضربة القاضية للأمة هي التي تأتي من الحوادث، وحوادث السير يذهب ضحيتها العديد من الأشخاص وهذه الأرواح لا تقدر بمال وهنا يعجز الحساب الرياضي عن التقدير ومعالجة المسألة لأن المعادلة ليست متجانسة. ونطرحها على الذين يقتنعون بمدخول صناعات الخمر هل تعادل الأرواح. أما الضياع المادي فلامجال لتقديره لما تصطدم السيارة الفخمة المستوردة بأشجار الطريق أو بسيارة أخرى. فالمعادلة سهلة المعالجة ويمكن لأصحاب الميدان أن يجدوا الحل، وفي الأولى - سنجد ثمن الجعة أو النبيذ الذي لا يتعدى عشرة ليرات من الوقود وفي جهة المعادلة الثانية سنجد ثمن السيارة الفخمة المستوردة والذي قد يتعدى الراتب الشهري لستين طبيا. وإذا وجد الحل المادي نضيف إليه الأرواح التي ذهبت مع السيارة.

والجامعة وما إلى ذلك. نتحرى الحقيقة لنجنب أنفسنا ويلات الخمر والتخدير وويلات الشوائب المجتمعية التي من شأنها أن تصيب العالم وقد لا نجد لها الحل. وسنتكلم عن بعض منها، ولو بإيجاز، لنضرب الأمثال لهؤلاء الغافلين الذين يتظاهرون بالمعرفة والعلم وهم أبعد ما يكونون من ذلك.

فبالنسبة للمسلمين لم يبق شيء في الحياة الدنيا إلا وعرفه الله. سبحانه وتعالى. في القرآن لكي لانزل ولا نزل ولا نبتعد عن الطريق السوي وهناك يعيش الإنسان عيشة طيبة. ولنظر إذا دخلت بيت المسلم هل تجد شيئا نجسا أو تشم رائحة كريهة وهو أقل ما يبين هذه الحياة الطاهرة النقية. ونحن نسلم أن الله - سبحانه وتعالى - لما يقول إن الخمر رجس - فلا يمكن أن تكون إلا مضرّة ومهلكة ولا تحتاج إلى علوم في هذا الصدد بما أن الله، سبحانه وتعالى، حرّمها فلعللة الضرر والهلاك والخروج عن شرع الله. وبما أن السنن الكونية لا تخالف السنن الشرعية فإن العلوم الحديثة أظهرت صدق الرسالة ونرى أن كل العلماء يتجهون إلى تحريم الخمر وكل المخدرات لما تسببه من ضرر للجسم وللمجتمع.

وهناك تبريرات أخرى تجعل بعض الغافلين يسلّمون بأن صناعة الخمر تدعم الاقتصاد القومي مستدلين على ذلك ببعض المعطيات الخاطئة كاستخدام الناس أو جلب العملة الصعبة أو التبادل التجاري وما إلى ذلك، وقد نتحدى أصحاب هذه التحليلات أو النظرة المتخلفة للأشياء. وسنعطي أدلة تجعل أصحاب هذا التحليل أو النظرة للأشياء يتصدعون.

ولن أراد أن يتفضل علينا ببعض الأكاذيب فعليه أن يراعي الموضوعية العلمية والمنهجية الرياضية وإلا كان التحليل خاطئا وسفيا. وإذا استخدمنا العمليات الرياضية نجد أن الخمر هو سبب كل كارثة وهلاك للفرد والأمة معا. فالرد على أن الخمر نافعة للجسم هو سببها المباشر في بعض أنواع السرطان. ويجمع العلماء على أن الكحول سام للجسم ولمن درس الكيمياء الفيزيولوجية يعلم هذا جيدا. ويدمر الكحول خلايا المخ كما يصيب العقل بعدم الاستقرار والتركيز الطويل، وهذا يتنافى - تماما - من الناحية الغذائية مع

نعلم، جيدا، تمثل مصدرا هائلا للفيتامينات والالياف الخشبية والسكريات وبعض المكونات الأخرى التي لها دور استشفائي. وهكذا تكون هذه الثمار على مدار السنة مختلفة الأنواع والتركيب. ولذا نجد البرتقال والتمر في فصل الخريف لأنه فصل البرد والعمل، معا، إذ يستعد الناس لخدمة الأرض وما إلى ذلك وتكون هذه الثمار محملة بالطاقة ويليهما الزيتون لأن الزيت يعتبر، كذلك، من أعلى الأغذية طاقة، أما في فصل الصيف فنجد الفواكه الموسمية المنعشة وما أكثرها ويقبل الناس عليها إقبالا شديدا للانتعاش من بطيخ أحمر وأخضر وتفايح ومشمش وبرقوق وصبار وما إلى ذلك من الثمار.

أما إذا عصرت الثمار وتركت إلى أجل لتخمر فإن التركيب ولو لم يصبه نقصان من حيث طبيعة المكونات فإن السكريات التي تكون نافعة في العصير تتحول إلى كحول، وهي مادة سامة كما نعلم، جيدا، في ميدان التغذية. وقد أشار بعض الباحثين في ميدان التغذية بأمريكا وأوروبا أن استهلاك الكحول والإفراط في استعماله له علاقة مباشرة ببعض الأعراض الخطيرة.

نسمع من حين لآخر بعض الإشاعات حول ضرورة تناول الخمر بأنه نافع، وتبرر هذه الإشاعات ببعض الاستنتاجات العلمية حول دور الخمر في مساعدة أصحاب الأمراض القلبية والشرابيين، وربما نقرا بعض الأكاذيب في اليوميات الإخبارية، الحبر ورقية، ونحن نقول إن هذه التضليلات لها هدف معين وأصحابها يبحثون عن كل ما من شأنه أن يخالف العقيدة. ويكاد يجمع العلماء على ضرر الخمر وعلى العواقب التي تترتب عليه. وتكونت جمعيات لمكافحة التخدير في البلدان الغربية. والغريب في الأمر هو أن الذين كان عليهم أن يبينوا للناس ضرر الخمر من أصحاب علوم الأحياء والتغذية والطب نجد أن هؤلاء هم الذين يدعون إلى تناولها وهم يعلمون مدى تأثيرها على جسم وعقل الإنسان وعلى سلوكه وشخصيته ومعنويته في المجتمع.

ونود بقدر ما استطعنا أن نحث الناس على تحري الحقيقة قبل الأخذ بما تتداوله الأعراف الإعلامية من الحبر على الورق اليومي إلى الندوات إلى المدرسة

إذا كان الجليل - جل جلاله - بدأ بالعبرة بالنسبة للبني فإنه في الآية التي تخص السكر جعل الوصف علميا محضا لكي لا يلجأ الناس إلى الاستشهاد على ضرورة تناول الخمر بالقرآن ولذلك رد - سبحانه وتعالى - صناعة السكر إلى الإنسان وجاء التعبير بالمخاطب وهو الإنسان فقال سبحانه وتعالى «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون» إذا نظرنا إلى الآية الكريمة نجد أن السكر لا يأتي مباشرة كالاشربة الأخرى وإنما هو من صنع الإنسان ولذلك قال الله - تتخذون - يعني أن الإنسان هو الذي يحول عصير الثمار إلى خمر. لقد بينا أن سورة النحل أو سورة النعم - كما يسميها العلماء - يبين فيها الله سبحانه وتعالى خلق الأشياء ووصفها العلمي ليتذكر أولوا العلم وليبين أسباب الأشياء ويكون الوصف العلمي متكاملًا ولا يترتب عن هذا الوصف نقض للشرع لأن معرفة كيف يصنع الخمر لا يترتب عنها نقض تحريمه. وفي هذه الآية نرى اسمي أوجه الإعجاز العلمي ويجب أن ننتبه إلى الكلمة في القرآن لكي نفهم المعنى ونستفيد علميا. تصف الآية الثمار التي يصنع منها الخمر وهي العنب والتمر، وهذا كان معروفا ولا يزال إلى يومنا هذا معروفا. ووصف الخمر بالسكر لبيان علتها وضررها وهو وصف علمي وليس شرعي، وسنرى أن هذا الوصف العلمي سيمهد لحظر الخمر علميا قبل تحريمها شرعا. ولننتبه إلى ما يقول لنا الذي خلق كل شيء فاتفقه في هذه الآية - ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا - فالكلمة القوية، هنا، هي - تتخذون - ويعني هذا أن الله يعلم أن الخمر يأتي من عصير العنب والتمر، لكن الإنسان هو الذي يجعله يتحول إلى خمر ليتخذه سكرا، وهنا يتبرأ الله - سبحانه وتعالى - من السكر. لأنه في آية الحليب يقول سبحانه - نسقيكم - أي هو الذي أعطانا اللبن ويريدنا أن نشربه ثم يقول في العسل - شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - ليجعلنا ننتفع بهذا الشراب ولذلك أدخل عامل الصحة، أما بالنسبة للخمر فيقول - تتخذون - أي أنتم الذين تتخذون هذا السكر أما الله فقد رزقنا بالثمار لأكلها طرية أو لعصرها وشرب عصيرها لكن اتخاذ السكر هو من فعل بني البشر.

وليس الانتفاع بالثمار كاتخاذ السكر، فهنا ياخذنا الموضوع إلى أمور معقدة وعميقة في علم التغذية. لأن الثمار كما

قصة يوسف وزير المالية

إعداد الأستاذ : محمد الشرقاوي

الحلقة الثامنة

لما تحقق الملك من براءة يوسف، وتأكد له علمه بالتدبير المالي من خلال تفسيره لرؤيا الملك التي كانت لغزا في نظر أتباعه فقالوا عنها « أضغاث أحلام » واعتذروا بكونهم غير عالمين بتأويل الأحلام أمام كل هذه المعطيات رأى الملك في الإتيان بيوسف عليه السلام . لنفسه ليستعين به في تدبير مالية خزينته (وقال الملك اثتوني به استخلصه لنفسه) أي أجعله من خاصتي وخلصائي، فاقترح عليه يوسف - عليه السلام - أن يوليه، لأرغبة في الولاية، بل رغبة في العدل وليس من باب التزكية وإنما هو للإشعار بحنكته ودرايته (قال اجعلني على خزائن الأرض) وبرر طلبه هذا بكونه حفيظ أي أمين وعليم وما اجتمعت هاتان الخصلتان: الأمانة والعلم في شخص إلا كان جديرا بتحمل المسؤولية (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) يقول المفسر الشهيد سيد قطب في «الظلال» ومنذ هذه اللحظة التي تجلت فيها شخصية يوسف مكتملة ناضجة واعية، مطمئنة ساكنة واثقة، نجد هذه الشخصية تتفرد على مسرح الأحداث، وتتوارى، تماما، شخصيات الملك والعزیز والنسوة والبيئة، ويمهد السياق القرآني لهذا التحول في القصة وفي الواقع بقوله: (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء، ولانضيق أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون). ومنذ هذه اللحظة نجد هذه الشخصية تواجه ألوانا أخرى من الابتلاءات تختلف في طبيعتها عن الألوان الأولى، وتواجهها بذلك الإكتمال الناضج الواعي، وبتلك الطمانينة الساكنة الواثقة اهـ. الظلال جزء: 4 صفحة: 671.

ويقول الشيخ محمد المكي الناصري في تفسيره «التيسير في أحاديث التفسير» وقوله تعالى (وقال الملك اثتوني به استخلصه لنفسه) إشارة إلى قرار

ملك مصر الصادر بجعل يوسف من حاشيته وخاصته وأهل مشورته ووزارته (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين). وصفة الأمانة صفة أساسية في كل من يراد الانتفاع بمشورتهم ونصيحتهم، إذ «المستشار مؤتمن» (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) هذا ليس طلبا للولاية من أصلها، فقد ولاء الملك بمجرد مادعاه إليه وقال: (اثتوني به استخلصه لنفسه)، وإنما هو تنبيه من يوسف للملك إلى نوع العمل الخاص الذي يرى نفسه أهلا للقيام به، بعد تكليفه من طرف الملك تكليفا عاما، فقد كان يوسف يعلم أن مصر مقبلة على أيام شدة وأيام رخاء كما فهمه من رؤيا الملك التي عبرها له أحسن تعبير، وكان يحس من أعماق نفسه أنه إذا وضعت خزائن مصر تحت إشرافه المباشر تصرف في غلاتها التصرف الاحوط والأشد والأصلح لعموم الناس.. فلفت نظر الملك إلى نوع المسؤولية التي يستطيع تحملها على بيئة وعن جدارة، وقوله في هذا السياق (إني حفيظ عليم) تبرير منه لهذا الاختيار، فهو يعرف من نفسه أنه موصوف بالحفظ والصيانة اللازمين لكل خزنة، وهو على خبرة بالعلم المناسب لهذا النوع من العمل.. وهذا المعنى الذي فسرنا به الآية لا يتعارض في شيء مع قوله - صلى الله عليه وسلم - لعبد الرحمن بن سمره فيما رواه مسلم: «لا تسال الإمارة، فإنا إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها» ولا مع قوله (ص) في حديث آخر رواه مسلم أيضا: «إنا لا نستعمل على عملنا من أراد» إذ موضوع الحديث هو التهاكك على الولاية العامة وطلبها من أصلها، لا مجرد اختيار نوع العمل، بعد الاستدعاء لها والتكليف بها» جزء (3) صفحة: 186.



محمد
الغضنر
الريسوني

تأملات

خواطر

مهنتهم بدون وازع ضمير

في ردهات ومدرجات كليات الطب يقف طالب الطب أمام لجنة المناقشة من أجل نيل شهادة الدكتوراه، وعندما يتم قبول الطالب عضوا في المهنة الطبية ويقدم أمام الملا الحاضر - قسم أبي قراط - يتعهد بأن يكرس حياته لخدمة الإنسانية، وأن يمارس مهنته بوازع من ضميره وشرفه جاعلا صحة مريضه هدفه الأول والأسمي.

قسم جميل يؤديه الطالب قبل أن يشرع في أداء مهنته، لكن، هل كل الأطباء يلتزمون بما جاء في القسم بأن يكون هدفهم الأول والأسمي هو صحة المريض؟ صحيح أن بعض الأطباء يتفوقون على أخلاق رفيعة وإنسانية، ويقابلون مرضاهم برحابة صدر وإخلاص، لكن الكثيرين منهم - وبالأأسف - لا يهتمهم من الطب إلا المال وتكديسه بشتى الطرق غير عابدين بتوجيه النصح الخالص إلى مرضاهم وتشخيص حالاتهم المرضية بنوع من الأناة والصدق.

لقد عشت هذه الحالة منذ أيام، فلقد حدث لي أن أصبت بوعكة مرضية ألمت بي وتسببت في الأم مبرحة أذهبت عني النوم، الشيء الذي جعلني أسرع إلى عيادة طبيب عله يسعفني بحقنه أو أقراص تخفف عني ما أحس به.

قلت لكاتبته وسكاكين الألم تنهش جنبتي:

الطبيب موجود؟

رفعت عينها إلي لتجيبني:

- يمكنك الانتحاق به في مصحة خاصة، هاك عنوانها.

- لكني أتمزق من شدة الألم.

- يمكنك الانتظار إلى منتصف النهار.

وقلت مع نفسي: لي الله... سانتظر الطبيب.

وبعد ثلاث ساعات جاء من المصحة وهو يلهث من شدة الإرهاق، فدخل إلى مكتبه بالعبادة، ثم شرعت الكاتبة في النداء على الحضور المكتظة بهم الصالة. وأحدا بعد آخر، وجاء دوري، فدخلت، وشرع بوجه لي أسئلة من نوع: ماهي حالتك؟ أين يوجد الألم عندك؟ في الظهر أو في الجنب؟ وبين حين وآخر كان يخرج مستعجلا ليباشر حالات ربما شبيهة داخل غرف متناثرة، ولا يتجاوز فحصه لأصحاب تلك الحالات سوى بضع دقائق، بعدما انصرف المترددون على عيادته جاعني، ومن غير أن يسألني أو يشخص مرضي مسك ورقة وكتب فيها خطوطا مبعثرة عن ضرورة الفحص بالأشعة. وكان ألمي يزداد، وقلت للطبيب: ألا من دواء مسكن يذهب عني هذه الآلام التي تعصف بجسمي؟ ونظر إلي من خلال نظارته، وصرفني وهو ينصحنني بالإسراع في الفحص وخرجت من العيادة بعد أن تسلمت صاحبة الصندوق مبلغا ماديا مهما لقاء فحص كاذب.

إن ما حدث للمرحوم القاضي المجنوبي في الطابق الخامس بمستشفى ابن سينا عندما صرخ بصوت مرتفع: أغيثوني، وسادفك لكم فيما بعد، هو نفس الحدث الذي وقع لصديقي الضابط المرحوم، عبد القادر الوريثاني، فلقد جاء به ولده إثر تعرضه لازمة قلبية إلى مؤسسة العصبة الوطنية لمحاربة أمراض القلب والشرائين - لكن مسؤولا في العصبة واجهه قائلا: ادفع مليوننا، وحينئذ، يمكن معالجة والدك. وبهت الابن الخائف على حالة والده الخطيرة وأجاب المسؤول: إنه لا يوجد المبلغ عندي على أنني أعدكم بأن أسلمه لكم غدا، المهم، الآن، أن تنقذوا والدي من الموت، وما أن غادر مؤسسة العصبة رفقة والده حتى انتقل هذا إلى رحمة الله. لقد طلبت العصبة من عائلة المرحوم المجنوبي تقديم شيك بمبلغ 15.000 درهما، وتجاهلوا أو تعمدوا وتناسوا بأن الهدف هو إنقاذ المريض، فبسبب التماطل الذي دام خمسة وأربعين دقيقة كان ذلك معجلا لموته، مع أن الظهير المؤسس للعصبة الوطنية، المؤرخ ب 19 أكتوبر 1977 ينص بصريح العبارة بأن المؤسسة ليس هدفها اكتساب الربح، غايتها تقديم الإسعاف والمساعدة لمرضى القلب.

لقد رفع الله سبحانه منزلة الطبيب المؤمن الملتزم بالأصول العلمية المتعارف عليها فقال: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه». إن الإسلام أقر مبدأ مسؤولية الطبيب عن أخطائه المهنية قبل أن تضع قوانين بونابرت - هذا المبدأ ضمن مدوناتا تصديقا لقول الله: «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا، فلماذا، إذن، لا يلتزم الأطباء بما أقسموا عليه؟ ولماذا تكون غاية بعضهم الجشع من أجل المال، فقط وليس من أجل إنقاذ المريض؟

نعلن لقراءنا الكرام أنه في سبيل تيسير

عملية التواصل بين القارئ وجريدة

«ميثاق الرباطة»

نضع رهن إشارتهم

عنوان البريد الإلكتروني التالي :

E-MAIL= rabita_olama @ hotmail.com

خطوات جمع المذهب المالكي

الحلقة الثانية

إعداد الأستاذ : الحسن آيت بلاو

والناصر بن المنير والزين بن المنير وغيرهم، وكان أبوه حاجباً تعرف به، كما يدعى برجل المختصرات، ومن مؤلفاته: مختصر الفقه استخراج من ستين كتاباً، ومنتهى السؤل في علم الأصول والجدل وغيرها، مات بالأسكندرية عام 646هـ.

1 - معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دمشق 2/265 - 266.

2 - الشرح الصغير للدردير، فهرس الاعلام، 4/840.

3 - مقدمة ابن خلدون، ص: 499.

4 - دليل السالك للمصطلحات والاسماء في فقه الامام مالك، ص: 87 - 88.

5 - يقال بأن ابن الحاجب اختصر مختصر البرادعي، وفي هذا مقال، لأن بين البرادعي وابن الحاجب مفاوز تنقطع فيها أغناق المطي كما أن بينهما مختصرات عديدة منها:

6 - مختصر ابن بشير.

7 - مختصر ابن شاس.

8 - الشيخ خليل : هو خليل ابن اسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي، ضياء الدين ابو المودة

الامام العلامة العالم القدوة الحجة الفهامة، حامل لواء مذهب مالك في زمانه بمصر، كان زاهداً يلبس زي

الجند المتقشفين، وكان ذا دين وفضل وانقباض عن اهل الدنيا، جمع بين العلم والعمل وناشراً لهما - وكان من

اهل التحقيق، ثابت الذهن، ألف شرح ابن الحاجب (التوضيح) الذي عكف الناس عليه، وله مختصر في

الفقه نسج فيه منوال الحاروي جمع ترجمة لشيخه المنوفي تدل على معرفته بالأصول، وكان أبوه حنفياً

يلزم الشيخ ابا عبد الله الحاج المغربي (صاحب المخل)، وبذلك صار خليل مالكيًا رغم انه حنفي مصري ولذلك قيل: ان المختصر الخليلي يكاد يكون

مادة علمية مغربية بالرغم من كون مؤلفه مصرياً.

9 - كان مدرس المالكية بالشيخونية وهي اكبر مدرسة بمصر في ذلك الوقت، وكان يرتزق على الجندية، أمراً بالمعروف ونهاياً عن المنكر، توفي في ثالث عشر ربيع

الاول سنة ست وسبعين وسبع مائة، ودفن بالقرافة الكبرى بمصر بجوار شيخه الشيخ المنوفي.

10 - الديباج، 2/357، 358.

11 - مختصر العلامة خليل، ترجمة الشيخ احمد نصر والتي لخصها سن نيل الابتهاج بتطريز الديباج ل احمد

بابا.

12 - دليل السالك للمصطلحات والاسماء، ص: 125.

13 - محاضرات الاستاذ محمد شرحبيل.

14 - مختصر خليل، ص: 8.

15 - دليل السالك، ص: 89.

16 - اصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ص: 103.

17 - ملاحظة: أبعاد محمد الحجوي النجعة وتبعه المرحوم عمر الجبدي في ذلك، حين قال: ان خليلاً اختصر مختصر ابن الحاجب، وهذا غير صحيح، بل تعقبه واستدرك عليه وجمع الفروع وحد من الخلاف...

زمن الاختصار، رغم توالي المختصرات من بعده، ولكن إنما هي ناسجة على منواله، فقط، كاقرب المسالك ومجموع الامير.

■ الهوامش:

1 - المؤلف :

2 - ابو عبد الله بن ابي زيد عبد الرحمان النفري القيرواني، الفقيه الحافظ الحجة، امام المالكية في وقته، صاحب الرسالة والنوادر والزيادات، انتهت اليه رئاسة

الدين والدنيا في وقته وكانت اليه الرحلة في الافاق، لخص المذهب وجمع نشره ودب عنه، أخذ عن العسال

وابن مسرور والقطان وحماته، ورحل فسمع من ابن الاعرابي والبيهقي وكثيرين، وكتابه الرسالة - من متون

المالكية - مشهور، وهي أول تأليفه ووقع التنافس في اقتنائها ومن تأليفه تهذيب العتبية والدب عن مذهب

مالك، ومختصر المدونة، وكتب في الكلام والفروع، توفي سنة 386 هـ، وله من السن 76 سنة بداره

بالقيروان، وقبره معروف متبرك به.

3 - الديباج، 2/427، 428، 429، 430.

4 - كتاب فهرس الاعلام من الشرح الصغير للدردير، 838/4.

5 - محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي، ص: 132 و 185.

6 - من محاضرات استاذ المادة د محمد شرحبيل: مقدمة في الفقه المالكي 1998، عضو المجلس العلمي

لاكادير وتارودانت.

7 - شهاب الدين القرافي، الدخيرة، 1/65.

8 - البرادعي: هو ابو سعيد خلف بن ابي القاسم الازدي المعروف بالبرادعي، الفقيه العالم الامام الحافظ

من كبار اصحاب ابن ابي زيد والقاسمي، وبهما تفقه، له تأليف مشهورة منها التهذيب المختصر المدونة، والتمهيد

لمسائل المدونة، واختصارات الواضحة، خرج الى صقلية وحصلت له هناك شهرة، ولم تعرف وفاته، وأما هو من كبار اصحاب ابي محمد

بن ابي زيد وابي الحسن القاسمي.

9 - الديباج، 2/349، 350.

10 - فهرس الاعلام بالشرح الصغير للدردير، 4/855.

11 - اصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ص: 103.

12 - محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، ص: 134.

13 - الدكتور حمدي عبد المنعم شلبي، دليل السالك للمصطلحات والاسماء في فقه الامام مالك، ص: 83.

14 - لاحظ عليه ماسبق، الاستاذ محمد شرحبيل، خلال استعراضه للمسار التاريخي للمذهب المالكي، الموسم الجامعي: 1998، 1997.

15 - ترجمة ابن الحاجب:

16 - ابو عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس المالكي كردي الاصل، الفقيه الصولي، ولد في إسنا بصعيد مصر، ونشأ في القاهرة وسكن دمشق وقرأ على الشاطبي، والشاذلي، وعنه الشهاب القرافي

بدأت حركة التأليف في المذهب المالكي في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، إذ في هذا الوقت بالذات، بدأت بذور المؤلفات تظهر للوجود، وبرزت حركة الإفتاء على أصول مذهب مالك، وتقرير الجزئيات في الاحكام العملية التفصيلية على القواعد والأصول التي قررها الاصم في كتابه الموطأ (1).

ولا يمكننا استخلاص مسار التطور التاريخي للفقه المالكي، وكذلك تطور المصادر، إلا بدراسة هذه النقط وتجليها والافادة منها ومن غيرها (2).

وعرضي من هذا العرض المتواضع محاولة تتبع، ولو بإيجاز، المؤلفات التي وصلت بين الاسدية ومختصر الشيخ خليل، وهذا ما أقصده بهذا العنوان، خطوات جمع المذهب المالكي. مع العلم أنه لا يمكن لطالب علم في بداية مرحلته التحصيلية والتأصيلية، أن يحصي أو أن يكتب حول جميع الكتب المؤلفة في هذا المذهب، وسأحاول أن أوضح هذه النقطة، وإن استترت في البقاء الحواك. ويقال: إن أسبق المالكية إلى التأليف هو علي بن زياد التونسي، شيخ سحنون (3) ثم ألف بعده أسد بن الفرات كتابه «الاسدية»، وهو أول كتاب أضعه تحت المحرر من الكتب التالية، والتي تكون نقط هذا العرض:

- 1- الاسدية.
- 2- المدونة.
- 3- اختصار المدونة لابن أبي زيد.
- 4- تهذيب المدونة للبرادعي.
- 5- المختصر الفرعي.
- 6- اختصار المختصر الفرعي لخليل.
- 7- مختصر الامير.
- 8- مختصر الدردير.

ولم أدرج الموطأ ضمن هذه السلسلة، لأنه هو الاصل واللباب وعليه بنى الجميع، وخطتي في تناول هذه النقط كالتالي: أترجم لصاحب الكتاب بإيجاز، مع التصريف بكتابه، وتبيين الغرض من تأليفه. وفي هذه الحلقة سأتناول المحور الثالث والرابع والخامس والسادس، على أن أترك المحور السابع والثامن إلى الحلقة الأخيرة.

3- اختصار المدونة لابن أبي زيد : اختصر ابن أبي زيد المدونة (1) في كتابه المسمى بالمختصر (2) حيث حذف الاسانيد وأضاف إليها ابواب العلم، كالعقيدة، وأصول الفقه، وفضل طلب العلم، إلى غير ذلك من الابواب.

وكان مالك الصغير يهدف من وراء ذلك العودة إلى منهج الموطأ في ربط الاحكام بادلتها ولو بإيجاز واختصار (3). وهكذا جمع هذا الكتاب بين الاختصار والكمال، والسبب في تأليفه أنه رأى كسل الهمم عن ادراك مدونة سحنون، فاختصرها اختصاراً غير مغل، فحل محلها، وعفى على الاختصارين السابقين (4).

فمن جمع المدونة أو اختصاره هذا إلى كتابه النوادر والزيادات، فقد جمع المذهب كله.

4- تهذيب المدونة للبرادعي : كتاب التهذيب اختصر به البرادعي (5) مختصر ابن أبي زيد السالف الذكر (6)، وكان الغرض من تأليف هذا الكتاب هو حذف ما أضافه ابن أبي زيد للمدونة من الابواب، واعاد نسق المختصر إلى نسق المدونة، وهذا ما يشير اليه ابن فرحون عند قوله: كتاب التهذيب في اختصار المدونة اتبع فيه طريقة أبي زيد إلا أنه ساقه على نسق المدونة، وحذف ما زاده ابو محمد (7).

اهتم به الطلبة، كثيراً، على حساب مختصر ابن أبي زيد، رغم انتقاد عبد الحق الاشبيلي لمسك البرادعي في اختصاره للمدونة (8) ويقول الدكتور شلبي عندما كان يتحدث عن الاسماء والدواوين: تهذيب المدونة لابي سعيد خلف بن ابي القاسم، اختصر فيه المدونة متبعا طريقة ابن ابي زيد، ويلاحظ على كلام الدكتور ملاحظتين: (9).

- اعتبر التهذيب من بين الاسماء والدواوين، في حين أنه ينتمي إلى لائحة المختصرات.

- يقول بان البرادعي اتبع نسق شيخه ابن ابي زيد، ولكن الصحيح العكس، حيث حذف ما اضافته ابن ابي زيد.

واختلف شراح خليل حول مصطلحه، فيها، هل يقصد به المدونة أم مختصر البرادعي؟ لأن خليلاً من المتأخرين الذين يسمون المدونة تهذيب البرادعي، لكن القول الصحيح أنه يقصد به - فيها - المدونة لكثرة اعتناؤه بها.

5- المختصر الفرعي : ويسمى كذلك، بجامع الاسماء، اختصر به

آراء ومناقشات: ماذا عن زواج المتعة؟

المحيزون والممنعون

الجزء الأول

إعداد الأستاذ: مرزوق آيت الحاج

مسعود قرا هذه الآية - فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى - وهو صريح في المتعة.

ثالثا: قالوا: إن إباحتها مجمع عليها والمجمع عليه قطعي وتحريمها مختلف فيه والمختلف فيه ظني والظني لا ينسخ القطعي.

النقطة الثانية: أدلة المانعين:

فمن الكتاب قوله - عز وجل - في وصف المؤمنين - والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم - سورة المؤمنون / الآية: 4، وهي تفيد أن الفروج لا تحل إلا بأمرين: الزواج وملك اليمين والمتعة ليست بزواج لأنها ترتفع من غير طلاق ولا فرق ولا يجري بينهما التوارث ولا تجب بها النفقة كما هو مقرر عند المبيحين للمتعة. وإذا لم تكن زواجا لم تكن المتمتع بها زوجة وليست بملك يمين وإلا لجاز بيعها وهبتها. وإذا انتفى عنها الأمران المبيحان بقي غيرهما على التحريم يشير إليه قوله جل شأنه بعد ذلك - فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون - 4 - حيث سمى المبتغي بغير هذين الشيئين عاديا فتكون المتعة عدوانا.

وقوله تعالى: وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله. سورة النور / الآية: 33.

ولو كانت المتعة جائزة لم يامر بالاستعفاف من لا يجد قدرة على نفقات النكاح. ومن السنة: فقد دلت الأحاديث السابقة على أن رسول الله نهى عن المتعة بعد الترخيص فيها أكثر من مرة وقد قدمنا بعضها.

ومن المعقول: فإن النكاح لم يشرع لقضاء الشهوة، فقط بل لأغراض ومقاصد أسمى من ذلك يتوصل به إليها كتحقق السكن بين الزوجين والنسل وتكوين الأسرة. والمتعة لا تحقق شيئا من ذلك فلا تكون مشروعة.

الهوامش:

1. سورة النساء / الآية: 24.
2. سورة الطلاق / الآية: 1.
3. سورة النساء / الآية: 24.
4. سورة المؤمنون / الآية: 7.

إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن 2 - كما روي عن ابن مسعود مثل ذلك. لكل هذا، ذهب الجمهور من الفقهاء إلى أن زواج المتعة منسوخ وكل عقد يعقد على صفتها باطل يجب فسخه.

وذهب الشيعة الجعفرية إلى بقاء مشروعيتها لأنها لم تثبت عند نسخها، كما يقولون، وقد كان يكفي جماهير الفقهاء فيما ذهبوا إليه من أنها نسخت بعد الترخيص فيما قدمناه من الأحاديث الدالة على ذلك، ولكنهم اضطروا إلى الاستدلال بأدلة أخرى مع ما سبق ليقابلوا بها أدلة القائلين ببقاء مشروعيتها التي تفيد بظاھرها أنها مشروعة على أنها حكم أصلي لا رخصة أبيحت لضرورة، وهذه أدلة الفريقين:

المحطة الثانية:

أدلة المانعين والمحيزين

أريد من خلال هذه المحطة إبراز رأي الفريقين في الموضوع وذلك من خلال نقطتين:

النقطة الأولى: أدلة المحيزين.

استدل الجعفرية، أولا، بقوله تعالى - فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن 3 - والاستدلال من ثلاثة أوجه أحدها: أنه ذكر الاستمتاع ولم يذكر النكاح والاستمتاع والتمتع واحد.

والثاني: أنه أمر بإيتاء الأجور فسمى ما يعطى للمرأة نظير التمتع بها أجرا والمتعة عقد إجارة على منفعة البضع.

والثالث: أنه تعالى أمر بإيتاء الأجر بعد الاستمتاع وذلك يكون في عقد الإجارة والمتعة، فاما المهر فإنما يجب في النكاح بنفس العقد ويؤخذ الزوج بالمهر، أولا، ثم يمكن من الاستمتاع، فدللت الآية على جواز عقد المتعة.

ثانيا: قالوا إن عبد الله بن

عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئا.

وروي البخاري عن أبي حمزة قال: سألنا ابن عباس عن متعة النساء فرخص، فقال له مولى له: إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه، فقال ابن عباس: نعم.

فهذه الأحاديث النبوية منها ما اقتصر على الأخبار بالترخيص، ومنها ما اقتصر على الأخبار بالتحريم، ومنها ما جمع بين الأمرين الترخيص والتحريم بعده، وكلها متفقة على أن الترخيص كان في حالات الغزو وليس فيها حديث واحد يفيد أنه رخص لهم فيها حالة الإقامة.

هذا ما كان في حياة الرسول، صلى الله عليه وسلم، ترخيص ثم نهى، وترخيص ثم نهى إلى أن نهى عنها نهى تحريم إلى يوم القيامة، ومن هنا حكى عن بعض الصحابة القول بجوازها بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود، كما حكى عن عمر أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، متعة النساء ومتعة الحج، ويظهر أن أمر النسخ لم يبلغ هذا النفر من الصحابة فافتى بالإباحة بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبخاصة إذا ثبت أنه، صلى الله عليه وسلم، أباحها غير مرة عندما يوجد ما يقتضيها ثم ينهي عنها عقب كل مرة عند ما يزول السبب.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: لما شاع عنه القول بجوازها المطلق. والله ما بهذا أفتيت وماهي إلا كالميتة والدم ولحم الخنزير لا تحل إلا للمضطر، كما حكى عنه أنه رجع إلى ما اتفق عليه الصحابة وصرح بان قوله تعالى - فما استمتعتم به منهن 1 - نسخه قوله - عز وجل - يا أيها النبي

نريد من خلال هذا المقال تتبع هذا النوع من الزواجا من مبدأ الإذن فيه وتسير معه خطوة - خطوة لنصرف ماضيا على الترخيص فيه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنزاع الذي نأر حوله بعد وفاته وما استقر عليه أمره وموقف الفقهاء منه. وعليه، ستكون دراستنا لهذا الموضوع عبر ثلاث محطات:

المحطة الأولى: زواجا المتمتع بين الترخيص والمنع.

المحطة الثانية: أدلة المانعين والمحيزين.

المحطة الثالثة: مناقشة أدلة المحيزين.

المحطة الأولى:

زواجا المتعة بين الترخيص والمنع

لا خلاف بين الفقهاء في أن هذا النوع من الزواج قد رخص فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في بعض أسفاره، وبعبارة أدق في بعض غزواته لأمر طارئ يدعو إليه، ففي الحديث المتفق عليه، كما يقول صاحب منتقى الأخبار - عن ابن مسعود قال: كنا نغزو مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وليس معنا نساء فقلنا: ألا نختصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا بعد أن نكح المرأة بالشوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله - يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم - سورة المائدة / الآية: 89.

وروي الترمذي عن سهل بن سعد قال: إنما رخص النبي، صلى الله عليه وسلم، في المتعة لعزبة كانت بالناس شديدة ثم نهى عنها بعد ذلك. وروي أحمد ومسلم عن سيرة الجهنّي أنه غزا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، فتح مكة قال: فاقمنا بها خمسة عشر قاذن لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في متعة النساء، ثم قال: فلم أخرج حتى حرّمها رسول الله.

وفي رواية عنه، أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أيها الناس إنني كنت أذن لكم في الاستمتاع من النساء وأن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان

إعداد : عمر الريسوني

صفحة الشباب



العلماء أفضل

أم الأغنياء؟

قال لحكيم: العلماء
أفضل أم الأغنياء؟
قال: العلماء.

فقال له: فما بال
العلماء بابواب
الأغنياء أكثر من
الأغنياء بابواب
العلماء؟

قال الحكيم: لمعرفة
العلماء بفضل الغني،
وجهل الأغنياء بفضل
العلم.



وكذ شيء عنده بمقدار «قرأت كريم»
خط ثلث جلي للخطاط عكلة

أعقد وأدق ساعة في العالم

انتجت إحدى الشركات السويسرية ساعة يد تعتبر
الأكثر تعقيدا ودقة في العالم ويبلغ ثمنها حوالي 200 ألف
دولار.
وتقدم هذه الساعة خدمات متنوعة، مثل، التوقيت
القمرى ومعرفة الأيام والأشهر والسنوات بل والقرون
أيضا.



أفضل الناس

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :
سمعت أبا بكر - رضي الله عنه - يقول:
إذا أردت شريف الناس كلهم
فانظر إلى ملك في زي مسكين
نال الذي حسنت في الناس رافته
وذاك يصلح للدنيا وللدن

صنفاء

صنفات من الناس - فقط - يجوز أن نسميهم عقلاء :
الذين يعرفون الله والذين يجدون في البحث عنه
لأنهم لا يعرفونه

أقوال

قال بعض الحكماء : أن ترى بعينك
مرة ، أفضل من أن تسمع من الناس
مئات المرات .

نجدة وسخاء

حكى أن عبد الله بن عامر،
اشترى من خالد بن عقبة داره
بتسعين ألف درهم، وكانا جارين..
فلما كان الليل، سمع عبد الله بن
عامر بكاء أهل خالد، فقال عبد الله
لزوجته: ماهذا البكاء؟ قالت: يكون
دارهم ولولا الحاجة ماباعوها..
فقال : يا غلام اثتهم فاعلمهم أن
المال والدار لهم.

رقم الإيداع القانوني :
1994 / 160

الترقيم الدولي : 4348
ISSN : 4348

تصنيف وإخراج وسحب :
مطبعة فضالة - المحمدية
المغرب

توزيع : ساجريس

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات
الصحافية والتقنية
وتعبر عن آراء أصحابها

العنوان : 107 شارع فال ولد عمير . رقم :
7 - أكادال - الرباط

الهاتف : 67.03.51 (07)
الفاكس : 67.03.51 (07)

التمن : 3 دراهم

الاشتراكات السنوية

داخل المغرب : مائة وخمسون درهما.

الحساب البنكي : 25201015549.01

وكالة بنك الوفاء - حي أكادال - الرباط

*

*

مدير النشر :

إدريس كرم

*

رئيس التحرير :

محمد الخضر الريسوني

*

التحرير :

محمد القاضي

مصطفى ودادي

*

جريدة أسبوعية : جامعة

*

العدد 942

السنة 34

الجمعة

6 ذو الحجة 1421 هـ

الموافق 2 مارس 2001 م

*

المدير المسؤول :

الأمين العام بالنيابة

الشيخ ماء العينين

لارباب

الرابطة
للشباب
والثقافة

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة

حديث شريف

الخطبة المنيرة

إعداد الأستاذ : محمد بشاري

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمانا، ورمزا لجمع شتات المسلمين وتوحيد الكلمة وشرف قدره وعظمه، بتنصيبه قبلة لهم في الدعاء وإقامة الصلاة، وزاده تشريفا وتعظيما بالطواف حوله في أداء مناسك الحج والعمرة، أحمده تعالى على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي علمنا مناسك الحج بالتعاليم الإسلامية والقنود الحسنة، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه وناصرا للحق بالجهاد والدعوة.

أيها المؤمنون : لقد أكثر الإسلام من الأعمال الصالحة، ونوعها في الشكل والمقاصد، وجعلها ألوانا تتفاوت فضلا وتأثيرا وأصلا، وتتكامل فيما بينها ولا تتعارض، وكان المخلصون من المسلمين في صدر الإسلام يبحثون عن ذوات الفضل من الأعمال، ويسألون الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنها كي يشتغلوا بها أكثر من غيرها ويواظبوا عليها، أملا في كسب الخلق الكريم بالعودة والمواظبة عليها ورغبة في التقرب إلى الله تعالى أكثر، فأكثروا بالأعمال ذوات الفضل والأولوية.

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل الرسول، صلى الله عليه وسلم، أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور - رواه البخاري ومسلم.

لقد جعل، صلى الله عليه وسلم، الإيمان بالله ورسوله هو الأساس للأعمال الصالحة الأخرى ثم جعل الجهاد في الرتبة الثانية ثم جعل الحج المبرور في الرتبة الثالثة. لأن الإيمان عمل قلبي خاص بنفس الإنسان، فمن لا إيمان له لا يقبل منه أي عمل من الأعمال، لا يقبل منه جهاد ولا حج ولا غيره، ومهما صدق الإنسان بالله وبرسوله وأقر بلسانه أصبح مؤمنا مسلما والمؤمن مكلف بأداء التكليف الإسلامية والمواظبة على الأداء في خاصة نفسه، ثم بعد هذه المرحلة تأتي مرحلة التكليف بالجهاد في سبيل الله من أجل تصحيح العقيدة للغير وإعلاء كلمة الله، ثم بعد إثبات عقيدة التوحيد في النفوس والعمل بشريعة الله بين العباد تأتي مرحلة الحج والعمرة في جو يسود فيه الوثام والنظام والأخوة الدينية وفي مكان خاص وعلى صعيد واحد، لأفضل لأحدهم على آخر إلا بالتقوى.

والحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، ولا تقع فيه المعصية، فمن قصد البيت الحرام وأدى مناسك الحج والعمرة بنية صادقة وإخلاص تام، وأتى بما هو مطلوب فعله في مناسكه، وترك ما هو منظر فعله فيها وضبط نفسه بضوابط الشرع في حالة الأداء ولم يرفث ولم يفسق كان حجه مبرورا

وسعيه مشكورا وذنبه مغفورا، ومن خالف ولم يأت بما هو مطلوب فعله ولم يترك ما هو محظور فعله، ولم يضبط نفسه يكون ناقصا في إسلامه وخاسرا في أعماله، وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه - رواه البخاري ومسلم.

والأفعال المطلوبة فعلها في الحج ثلاثة أقسام:

1. واجبات أركان.
2. واجبات غير أركان.
3. مستحبات وسنن.

ولكل قسم من هذه الأقسام أحكام خاصة به يتحتم معرفتها والعمل بها. أما الواجبات الأركان فهي التي لا تجبر بالدم ولا بما يقوم مقامه، وعددها أربعة:

1. الإحرام بالحج 2. الوقوف بعرفة ليلا 3. طواف الإفاضة 4. السعي بين الصفا والمروة.

ومن ترك الإحرام بالحج ولم ينو أصلا، وبقي، على هذه الحالة، إلى أن فاتته الوقوف بعرفة ليلا، فلا حج له ولا هدي عليه. ومن أحرم بالحج وفاته الوقوف بعرفة ليلا، ولم يحضر فيها هنيئة ما بين المغرب والفجر، فلا حج له، كذلك، وفي هذه الحالة يلزمه إتمام الحج، والتحلل بالعمرة، وقضاؤه في العام القادم، والهدي بعد القضاء. ومن أحرم بحج ووقف بعرفة، ليلا وترك طواف الإفاضة أو السعي أو هما، معا، فلا حج له، أيضا، ويلزمه - في هذه الحالة - الرجوع من الطريق أو من بلده إلى مكة من أجل أن يأتي بما بقي عليه، فإن كان ذلك رجوعا إلى مكة، فإن كان ذلك قبل دخول الحرم فحجه صحيح ولا شيء عليه، وإن كان بعد دخول الحرم فعليه الهدي، فإن بقي على حاله ولم يرجع فإنه يبقى متلبسا بالإحرام حيث أنه لم يتحلل التحلل الأكبر بطواف الإفاضة بعد.

وأما الواجبات غير الأركان، فهي الواجبات التي تجبر بالدم، أو ما يقوم مقامه، وعددها المتفق عليه في المذهب يتجاوز أحد عشر واجبا، وهي:

1. الإحرام من أول الميقات المكاني
2. التلبسية من بداية الإحرام إلى الزوال من يرم عرفة 3. طواف القدوم للمفرد والقارن 4. بدء الطواف من الحجر الأسود 5. ركعتي الطواف 6. السعي بعد طواف القدوم 7. وصل السعي بالطواف 8. رمي الجمار 9. الحلق 10. المبسب بمنى بعد الوقوف بعرفة 11. عدم الدفع ونية الخروج من عرفة نهارا.

ومن خالف العمل بهذه الصفة وترك واجبا من هذه الواجبات يلزمه الهدي أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع منه جبرا للنقص الحاصل في

أحكام الحج وتعويضا على أعماله. وأما السنن والمستحبات فعددها كثير كالغسل للإحرام والركعتين قبله والغسل للطواف والدخول إلى مكة، واستيلام الحجر الأسود. ومن أتى بها كان له مزيد من الأجر والثواب ومن تركها فلا شيء عليه في ذلك.

والأعمال المحظورة فعلها في الحج ثلاثة أقسام: قسم يتعلق أمره بالترفيه، وقسم يتعلق بالصيد، وقسم يتعلق بالنساء. ولكل قسم من هذه المحظورات أحكامها الخاصة به.

فمن أحرم بالحج أو العمرة يتحتم عليه 1. أن يترك كل ما فيه الترفيه والتجميل، يترك اللباس المخيط واستعمال الطيب، وقلم الأظفار وحلق الشعر والغسل بذلك، وإذا خالف لزمته الفدية، ما عدا النساء فلا فدية عليهن في اللباس المخيط، والغذية هي إطعام ستة مساكين مدين لكل مسكين، أو صيام ثلاثة أيام، أو إنساك شاة فما فوقها في أي مكان مع عدم الأكل منها، مصداقا لقوله تعالى: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك - سورة البقرة. ويتحتم عليه 2. أن لا يتعرض للصيد في الحرم أو في الحل ومن تعرض للصيد فيهما وهو محرم يلزمه جزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل هديا، أو كفارة طعام مساكين مد واحد لكل مسكين، أو عدل ذلك صياما، عن كل مد صوم يوم، مصداقا لقوله تعالى: يا أيها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم، يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة، أو كفارة طعام مساكين، أو عدل ذلك صياما ليدوق وبال أمره - سورة المائدة/ الآية 97. ويتحتم عليه 3. أن لا يقرب الجنس ويستمتع بمباشرة فمن خالف وارتكب هذا المحذور، فإن كان ذلك قبل الوقوف بعرفات، فحجه باطل اتفاقا، ويلزمه إتمام الحج، والتحلل بالعمرة، والقضاء للحج في العام القادم والهدي في القضاء، وإن قدمه أجزا. وإن كان بعد الوقوف بعرفة وقبل رمي جمرة العقبة يوم النحر. فقبل بالبطان، وقيل بالصحة. وإن كان بعد الوقوف ورمي الجمار بعد يوم النحر فالحج صحيح وعليه الهدي.

وأحرص على معرفة هذه الواجبات والمحظورات وعلى احتسابهما وعلى العمل بها في مناسك الحج والعمرة، تحصل لكل من الحاج والمعتمر ثمرة هذه العبادة النادرة وينال أجره وثوابه على ذلك، وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بتوفيقه وعونه تتم الصالحات، وبحمده وشكره تزداد وتعظم البركات، وبالتوكل على الله يسهل المراد وتدرك الرغبات، أحمده

تعالى حمدا يليق بجماله وجلاله، واشكره سبحانه على تدفق نعمه الروحية والمادية السابغة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ قلوبنا بالخشوع والإخلاص، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي عرفنا بالله وعلمنا ما يجب له وما يستحيل عنه وما يعبد به، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته، ومن اهتدى بهديه وتمسك بشريعة الله وسنة رسوله.

أيها المؤمنون : اعلموا أن للحاج في الإحرام ثلاث حالات : الأفراد، والقران، والتمتع، أما الإحرام بالأفراد، فهو أن ينوي الحاج الحج وحده، ولا يجمع معه العمرة في النية، ويقول عند الإحرام به لبك اللهم بحجة، ولا هدي عليه في هذه الحالة ولكن يندب في حقه الهدي تطوعا اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - الذي حج بالأفراد وأهدى مائة من الإبل، نحر منها ثلاثا وستين بيدد، ونحر الباقي علي بن أبي طالب نيابة عنه، صلى الله عليه وسلم.

وأما الإحرام بالقران فهو أن ينوي الحج والعمرة ويجمع بينهما في النية، ويقول عند الإحرام به لبك اللهم بالقران، ويلزمه في هذه الحالة الهدي، ويذبحه يوم النحر بمنى إن استصحبه معه إلى عرفة وإلا فيذبح بمكة بعدما يأتي به من الحل، أو يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع منه.

وأما الإحرام بالتمتع فهو أن ينوي في أشهر الحج، ويحج من عامه: ينوي العمرة وحدها ولا ينوي الحج معها، ويلزمه في هذه الحالة الهدي ويذبحه بمكة بعدما يحرم بالحج إن شاء وإن أخره فلا بأس. وقت يطرا على خاطر المحرم بالعمرة إرادة إرداف الحج عليها، ويجمعه معها في النية، ويصبح قارنا، فله أن يردفه عليها، ولكن إذا لم يركع ركعتي الطواف لها، أما إذا ركعها وأردف فإنه لا يكون قارنا وإنما يكون قد أتى بعمرة مستقلة، وبحج مستقل، ويكون لكل منهما طواف خاص وسعي خاص وتلزمه في هذه الحالة، الفدية إذا حلق أو قصر للعمرة كما يلزمه الهدي حيث أحرم بالحج من الحرام ولم يحرم من الميقات.

ومن لم تتيسر له معرفة هذه الحالات الثلاثة، ولم يستطع أن يميز ويختار ما يناسبه منها في الإحرام، فعليه أن يقلد من يعرف، ويتبعه في إحرامه، فقد ورد أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سأل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال له بماذا أحرمت؟ قال علي: أحرمتم بما أحرم به رسول الله، فأفره على ذلك صلى الله عليه وسلم - هـ - من فقه السنة - ج 1 - ص: 543.

فاتقوا الله عباد الله واعملوا بنصائح كتاب الله وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تفوزوا بخير الدارين وصلوا وسلموا على سيدنا محمد بن عبد الله.